طبائع القرود

تابع لما قبلهُ

وعدنا في الجزء الماضي ان نذكر في هذا الجزء شيئاً من حكايات الغورلاّ التي تبين فيها طباعهُ ولما كان ده شالو السائح الافرنجي اوّل من راقب هذا القرد في غياضهِ واصطاد عدداً غفيراً منهُ اثرنا ان نعتمد عليهِ في اكثر ما يأتي من وصفهِ ولا سيّما لانهُ احسن نقلة في هذا الصدد

قال ده شالو كنت مرةً اجول مع رجالي في احدى الغابات نتقفى آثار الغورلاّ فسمعنا بغتةً صوتاً كصوت تكسير الاغصان فعرفنا اننا على مقربة من الغورلاّ فنظرنا الى بنادقنا لنكون على يقين منها واتجهنا الى حيث الصوت وكدنا نختلس الخطى اختلاساً حتى لم يُسمع منا الاّ صوت تنفسنا وخفقان قلوبنا. وفيما نحن على هذه الحال سمعنا زئيراً كزئير الاسد تبعهُ دوي كدوي الرعد ثم انكشفت الاغصان المشتبكة عن غورلاّ كبير الهامة هائل المنظر وكان يدب على قوائمهِ الاربع فلما رآنا وقف على رجليهِ واخذ يقرع صدرهُ بيدهِ فيرجّ كطبل عظيم ثم يزأر زئيراً يبتدئ بصياح كنباح الكلب ويطول فيصير كدوي الرعد. وكانت عيناهُ تقدحان ناراً وناصيتهُ تقبل وتدبر لشدة ما بهِ من الغضب. وما زال يتقدم نحونا وهو يقف كل دنيهة ليقرع صدرهُ ويزأر زئيرهُ المهول حتى صار على نحو عشر اذرع منا وحينئذٍ وقف يقرع صدرهُ فبادرناهُ باطلاق الرصاص فوقع على وجههِ ميتاً وكان طولهُ خمس اقدام (انكليزية) وثمانية قراريط

وفي مرة اخرى كان خمسة من رجالهِ يصطادون فسمعوا صوتاً كصوت صغار الغورلاّ ولم يتقدموا كثيراً حتى رأوا غورلاً صغيراً وامهُ على مقربة منهُ وكان كلٌّ منهما مشغولاً عن الآخر باقتطاف الاثمار الدرية فرموها بالرصاص فوقعت ميتةً ولما سمع ابنها صوت البارود ركض اليها والقى نفسهُ على صدرها كما يفعل الولد الصغير فاقبل عليهِ الصيادون وهم يصرخون صراخ الفرح على جاري عادتهم فلما رآهم ترك امهُ ولجأ الى شجرة اعترشها وجلس بين اغصانها يزأر عليهم ويحرق اسنانهُ. ولما كانوا يعلمون انهُ خبيث عضوض لم يروا سبيلاً لامساكهِ الاّ بقطع الشجرة فقطعوها ورموا عليهِ مأزرًا اغمضوا عينيهِ بهِ ومع كل تحفظهم منهُ عضّ واحداً منهم عضة اليمة في ذراعهِ وآخر في ساقهِ فقطعوا غصناً طويلاً ذا شعبتين وادخلوا عنقهُ بينهما وربطوهما من طرفيهما وقادوهُ بعيدين عنهُ ولما سلموهُ لده شالو نزع هذا القيد عنهُ ووضعهُ في قفص متين. وكان حذوراً نفوراً لا يألف احداً ويزداد شراسة يوماً فيوماً. ولم يأكل الاّ الاثمار الدرية التي يأكلها وهو في غياضهِ. وافلت من قفصهِ مرتين ففي المرة الاولى لم يقدر على امساكهِ وادخالهِ الى قفصهِ الاّ اربعة رجال اقوياء. وحاول ده شالو تذليلهُ بطرق مختلفة مدة اسبوعين فلم يقوَ على كسر طبعهِ ولم يكن يدنو منهُ الاّ اذا اضطرهُ الجوع. وفي المرة الثانية احاط بهِ مئة وخمسون رجلاً فلم

يكترث لهم بل هجم على واحدٍ منهم قاصدًا ان يبطش به فتمكنوا من طرح الحبالة عليه واخذوهُ قهرًا وربطوهُ بسلسلة وبعد ذلك بعشرة ايام مات حسرة ولا مرض فيه . وكان في آخر ايامه يعرف ده شالو وبامنهُ اكثر من غيره ويدنو منهُ ويأخذ طعامهُ من يدهِ ولكن يستغنم كل فرصة ليقبض على ثيابه ويمزقها . ولما ربطهُ بالسلسلة وضع لهُ قشًا في برميل لينام فيه فكان يصعد اليه وينفض القش وينام على بعضهِ ويتغطى بالبعض الآخر

وبعد ذلك بايام ذهب ده شالو لاصطاد فاصاب غورلاة وابنها معها وكانت تلاعبهُ كما تلاعب المرأة ابنها فلم يستطع ان يطلق عليها الرصاص لما خامر قلبهُ من الشفقة . وفيما هو يفكر في امرها اذا برجل من رفاقهِ اطلق عليها بندقيتهُ فوقعت للحال ميتةً فتمسك بها ابنها وصار يصرخ صراخًا يفتت الاكباد كانهُ يريد ان ينبهها من غفلتها وهو لا يعلم انها غفلة الموت . ولما كان صغيرًا جدًّا لا يستطيع المشي ولا العض حملهُ ده شالو ورجع به الى القرية التي كان نازلاً فيها وحمل رجاله الام واتوا بها فلما رآها طفلها دبَّ اليها وانطرح على ثديها ولما لم يجد فيها لبنًا جعل يصرخ من كبدٍ حرّى صراخًا يلين له الجماد . ثم مات بعد ثلاثة ايام لانهُ لم يوجد في القرية حليب بشريهُ . وكان انيسًا يدنو من ده شالو كلما ناداهُ . فوضعهُ بعد موتهِ في الكحول وبعث به الى اميركا ثم اصطاد رجل من رجالهِ غورلاة كبيرة فقاسها ده شالو فوجد طولها اربع اقدام وسبعة قراريط وطول كفها سبعة قراريط ونصف قيراط وطول قدمها ثمانية قراريط ونصف وطول ابهام يدها ١ ٢/٥ القيراط ومحيطهُ ٣ ٢/٤ وطول سبابتها ٤ قراريط ومحيطها ٣ ١/٢ القيراط وطول وسطاها ٤ ١/٤ ومحيطها ٤ وطول بنصرها ٣ ١/٢ ومحيطها ٣ ومحيط ابهام قدمها ٣ ١/٢ ومحيط السبابة ٣ ٢/٤ والوسطى ٣ ١/٤ والبنصر ٣ ١/٥ والخنصر ١ ٢/٤ . ولما كانت اناث الغورلاّ اصغر من الذكور كثيرًا كانت هذه من اكبر الاناث

وفي مرةٍ اخرى كان ده شالو في احدى الغابات وحدهُ ولم يكن منتظرًا ان يرى الغورلاّ فيها فسمع بغتةً صوتًا كهزيم الرعد تخلّلهُ صعقات كصعقات الطبل الكبير فعلم انهُ على مقربةٍ من الغورلاّ فحشا بندقيتهُ بالرصاص وسار الى حيث خرج الصوت فوجد ان الغورلاّ قد ذهب من ذلك المكان ولكنهُ ابقى فيه من آثارهِ ما يدلُّ على عجيب قوتهِ لان اشجارًا كبيرة قطر ساقها من اربعة قراريط الى ستة كانت مكسرة ومشققة كانهُ كان يعمد الى الشجرة فيكسرها كما يكسر الانسان القصبة ثم يشقق ساقها باسنانهِ ويأكل لبها

ومن اغرب ما ذكرهُ ايضًا عن اعمال الغورلاّ انهُ خرج يومًا مع رجالهِ للصيد وتفرقوا فرقًا وذهبت كل فرقةٍ في ناحية ولكن لم تمضِ ساعة من الزمان حتى سمع صوت بارودة ثم سمع صوت اخرى فاسرع الى حيث خرج الصوت رجاء ان يجد غورلاّ مجندلاً على الارض فلم يبعد قليلاً حتى سمع صوت الغورلاّ فايقن ان الذي اطلق عليه رصاصهُ اخطأهُ وبات في يد المنون . ولم يكن الاّ كلا ولا حتى وقع نظرهُ على

واحدٍ من رفاقهِ مجندلاً على الارض وامعاؤهُ مندفقة من بطنهِ وبندقيتهُ مطروحة بجانبهِ وحديدها مطوية مطبقة . ولما وجد فيهِ بعض رمق مزّق ثيابهُ وضمّد بها جرحهُ بعد ان ردّ امعاءهُ الى بطنهِ واقبل ببقية رفاقهِ فحملوهُ وعادوا بهِ الى مخيمهم وكان لم يزل قادرًا على الكلام فقصّ عليهم قصتهُ وقال انهُ التقى بالغورلاّ وجهًا لوجهٍ وكان ذكرًا كبيرًا فرماهُ بالرصاص فاشواهُ ولما كان الحرب محالاً في تلك الحال لان الغورلاّ لا بدّ من ان يدرك رامیهُ ويضربهُ ضربة تقضي عليهِ لبث في مكانهِ وحشا بندقيتهُ باسرع ما يمكن واراد ان يطلقها عليهِ فعاجلهُ الغورلاّ بضربةٍ اخرى اطارت امعاءهُ ثم عاد الى البندقية متوسمًا العداوة فيها فطواها بيدهِ وعضها باسنانهِ فطبنها ثم رماها ومضى في طريقهِ . وهي عادة للغورلاّ ان يضرب خصمهُ ضربة او ضربتين ثم يتركهُ ويتوغل في الغابات

وقد اجمل ده شالو كلامهُ على الغورلاّ في فصل طويل لخصنا منهُ ما ياتي

ان الغورلاّ لا يرصد الناس في شجرة حتى اذا مروا من تحتهِ اختطفهم برجليهِ وضغطهم واماتهم كما كان يزعم ولا يهجم على الفيل بالعصي ويمينهُ ضربًا ولا يسبي النساء ولا يبني بيتًا من اغصان الاشجار ويجلس على سقفهِ ولا يتأجل ولكنهُ يسكن اغبى الغابات وابعدها عن مساكن الناس او السهول العالية الصخرة . ولا ياكل الاّ الطعام النباتي وقال وقد نظرت في معدة كل الغورلاّت التي اصطدتها فلم اجد فيها الاّ الاثمار والاوراق . وهو نهم يلتهم ما في ارض واسعة في برهة يسيرة فيضرب في البلاد على الطوى ولا يعترش الاشجار الاّ قليلاً ما لم يكن صغيرًا لان ضغارهُ تنام في الاشجار خوفًا من الضواري . والغالب فيهِ ان الذكر ينام على الارض وظهرهُ مسنود الى جذع شجرة ولذلك توجد على ظهرهِ بقعة قليلة الشعر حيث يسندهُ الى الشجرة . واما الانثى فقد تعترش الاشجار وتنام فيها . والبالغ منهُ اكثر ما يرى ازواجًا ذكرًا وانثى والهرم يكون وحدهُ غالبًا واما الصغار فقد تكون فرقًا في الفرقة خمسة منها او اقل وهي تدبّ على الاربع ويصعب الدنو منها لانها حديدة السمع نفورة تهرب حالما يدنو منها احد . والكبار نفورة ايضًا لا يراها احدٌ واذا باغتها فلا تهرب بل تهجم عليهِ لتوردهُ حتفهُ او ليوردها حتفها . والغالب ان يُرى الذكر قاعدًا بقرب شجرة والانثى تلتقط طعامها بجانبهِ فاذا دنا منهما الصياد وهما على هذا الحال تصرخ الانثى وتركن الى الفرار واما الذكر فيقطب وجههُ ثم ينتصب على رجليهِ ويأخذ يفرع صدرهُ ويزأر حتى يخال للسامع ان عضلات العواصف وانقضت الصواعق ونزل القضاء المبرم . وصوتهُ قويٌّ يسمع على ثلاثة اميال كدوي الرعد فاذا اخطأهُ الصياد فلا مناص لهُ منهُ فانهُ يضربهُ ضربة تشق بطنهُ او تطير دماغهُ او لا تكون قاضية بل تكسّر ما تصيبهُ تكسيرًا وهو يضرب تلك الضربة ويمشي في حال سبيلهِ . ولما كان جسدهُ كبيرًا ثقيلاً ورجلاهُ قصيرتين صغيرتين كان مشيهُ عليهما تكلفًا فتراهُ يخطو ذات اليمين وذات اليسار ويمد يديهِ لموازنة جسدهِ كمن يمشي على الحبل . واذا اصابهُ الرصاص في مقتل من مقاتلهِ وقع لساعتهِ ميتًا كالانسان

ولولا ذلك لكان صيدهُ مخطرًا أُصيب ام لم يُصَب . والغالب انهُ يمشي على قوائمهِ الاربع وينقل يدهُ اليمنى مع رجلهِ اليمنى واليسرى مع اليسرى ولذلك كان مشيهُ قبيحًا جدًّا. ولم ارَ الانثى تهاجم احدًا ولكنَّ الاهالي اخبروني انها قد تهاجم دفاعًا عن صغيرها واذا هربت بهِ تعلق برقبتها وخصرها بيديهِ ورجليهِ . وعندي ان الغورلاَ البالغ لا يمكن ان يدجن . والاهالي يتنافسون بصيدهِ فينال مصطادهُ ذكرًا لا يحمى لهُ في صيدهِ من الخطر . وليس للغورلاَّ صوت الاَّ ما ذُكر من زئير الذكر وصراخ الانثى والصغار عند الخوف وللانثى ايضًا نقيق كنقيق الدجاجة الرعناء تدعو بهِ صغيرها . وهو لا يستعمل آلة للدفاع ولا للهجوم غير ذراعيهِ ولا يبعد انهُ يستعمل انيابهُ ايضًا عند الحاجة وقد شاهدت جماجم انيابها مهتومة واظنها تهتم من تشقيقهِ الاشجار بها . والاهالي يقولون ان الذكور تتصارع من اجل الاناث فتنكسر انيابها في هذه المصارعة . ولحم الغورلاَّ احمر داكن فاسي وجلدهُ اسود حالك . وبشرتهُ لا تبدو الاَّ في وجههِ وصدره وراحتيهِ وشعر البالغ منهُ رمادي حديدي وكل شعرة من شعرهِ مخططة بالاسود والرمادي . ويقول الاهالي ان المسنَّ منهُ يشيب شعرهُ . وليس لهُ رقبة ظاهرة وبطنهُ كبير بارز واصابع يديهِ كبيرة قوية فان غلظ الوسطى قد يكون ستة قراريط . وللذكر ثدوتان كالرجل وانيابهُ اكبر من انياب الانثى واقوى ودماغهُ كشكل دماغ الانسان الاَّ انهُ اصغر منهُ جرمًا فمعدَّل دماغ الغورلاَّ البالغ ٣٨٫٨٥ عنقة مكعبة ومعدل دماغ السودان ٧٥ عنقة ومعدل دماغ القوقاسيين ٩٣ عنقة . ولا فرق بذكرين دماغ الغورلاَّ الصغير والبالغ واما في الانسان فالفرق كبير لان معدل دماغ الولد القوقاسي قبل ان يبلغ الثامنة من ٣٨ عنقة مكعبة الى اربعين فقط . يظهر لي بعد الاختبار الطويل ان الغورلاَّ تبلغ قواهُ العاقلة اشدها في السنة الاولى من عمرهِ . انتهى

الجبون

يتازهذا القرد عن غيرهِ من القرود بطول ذراعيهِ اللتين تكادان تصلان الى الارض اذا انتصب على قدميهِ . وهو كبير العينين غائرها صغير الاذنين افطس الانف لهُ حول وجههِ شعر طويل يحيط بجبهتهِ وخديهِ وذقنهِ وهو صغير الجد لا يزيد علوهُ عن ثلاث اقدام انيس الطباع يسكن غياض ملًا وما جاورها من البلاد . وذراعاهُ قويتان جدًّا فانهُ يتدلدل بهما ساعات عديدة من غصن شجرة ثم يثب الى شجرة اخرى كانهُ الطير في خفتهِ وغالب مشيهِ انتقال بيديهِ فانهُ يتعلق بهما وينتقل من غصن الى آخر وقد تكون الاغصان عالية عن الارض مئة قدم او اكثر والبعد بينها شاسعًا فيثب من

الشكل ٤

الواحد الى الآخر وثبًا ولا ينزل الى الارض الاَّ مكرهًا واذا نزل مشى منتصبًا على رجليه ورفع يديه كأنهُ يتطلب بهما غصنًا يتعلق بهِ فلا يستعين بهما على المشي وهو الفرد الوحيد الذي لا يستعين بيديهِ على المشي على ما قالهُ وَلِس. وقال دارون انهُ يصوت اصواتًا يتلو احدها الآخر كالسلم الموسيقي. وقال ملر لا يتفق جبونان في شكلهما الظاهر وكأن كل جبون نوع قائم بنفسهِ ولكن الفحص المدقق في تشريح اجسامها يبين انها نوع واحد . واللون الغالب في الجبون مختلف من الاسود الى الاصفر الداكن الى الابيض المصفر وهو انيس يدجن بسهولة وحكاياتهُ ونوادرهُ كثيرة غريبة تظهر منها قوة ذراعيهِ وصدرهِ وخفة حركتهِ . وهو المرسوم في الشكل الرابع

قرود اميركا

الشكل ٥

القرود المتقدم ذكرها بنوعيها لا اذناب لها وهي لا توجد الاَّ في نصف الكرة الشرقي اما قرود نصف الكرة الغربي اي اميركا الشمالية والجنوبية فكلها مذنبة وهي انواع كثيرة جدًّا تبلغ مئة واربعة عشر نوعًا مع ان قرود افريقية لا تزيد عن خمسة وستين نوعًا وقرود لسيا وجزائرها عن نحو ستين نوعًا ولا قرود في

استراليا وجزائرها. ولاكثر قرود اميركا اذناب طويلة متينة تستعين بها على اعتراش الاشجار والانتقال من شجرة الى شجرة كما ترى في الشكل الخامس وهو صورة هذه القرود وقد امسك بعضها باذناب البعض الآخر حتى صارت سلسلة فتدلدلت وترجحت حتى بلغ طرفها السائب شجرة على الجانب الآخر من النهر الذي تحتها فامسك بها ثم بفلت طرفها الاوّل ويعترش الطرف الثاني فتعبر السلسلة كلها فوق النهر

كلام عام في القرود

يتحصل ممّا تقدم ان المشابهة تكاد تكون تامّة بين القرد والانسان وليس الامر كذلك فقد قال الشهير وَلِس ان بينهما فرقًا جوهريًا حتى في الاعضاء الاكثر تشابهًا فان يد القرد مثلاً اشبه شيء بيد الانسان راحتهُ خالية من الشعر مثل راحة الانسان ومغطاة مثلها واظافرهُ عريضة مثل اظافره ولكن ابهامهُ اصغر من ابهامهِ واضعف ولا يمكنهُ استعمالهُ كاستعمال الانسان لابهامهِ ولذلك لا تصلح يد القرد للاعمال التي تصلح لها يدُ الانسان فلا يمكنهُ ان يعقد بها خيطًا ولا ان يمسك قلمًا ويكتب بهِ بل بعض طوائف القرود لا ابهام لها وفقدهُ ليس بضائر. وبعضها ينطبق ابهامها كما تنطبق باقي اصابعها فلا فائدة خصوصية لهُ. والفرق بين يد القرد ويد الانسان كالفرق بين رجلهِ ورجل الانسان. فان اقدام القرود تشبه اكفها مشابهة كثيرة حتى سماها كوفيه الفرنساوي الطبيعي الشهير ذوات الاربع الايدي وشكلها هذا ضروري لمعيشتها لانها تعترش وتمسك بها وهي تقطف بايديها الاثمار وتمسك الحشرات. هذا من اشهر الاختلافات الجوهرية. اما الاختلافات العرضية فكثيرة حتى انهُ لا يوجد شيء في اقرب القرود الى الانسان مماثل لما في الانسان تمامًا فالقرود طائفة قائمة بنفسها

وقد كانت كذلك منذ زمان قديم جدًا واذا كانت قد تفرعت من ذوات الثدي فيكون ذلك في الدور الثاني وكانت حينئذٍ اقرب الى ادنى انواع ذوات الثدي اي الى آكلة الحشرات. ولو اتى الى هذه الدنيا شخص عاقل قبل زمان الانسان ورتب حيواناتها لما وضع القرود في اعلاها لانهُ ما من شيء يدعو علماء الحيوان لوضع القرود في اعلى سلم الحيوانات الاّ مشابهتها الظاهرة للانسان ولو انصف العلماء لوضعوا الضواري في اعلى سلم الحيوانات ووضعوا الفيل فوق الجميع. وهب ان القرد اقرب شكلاً الى الانسان من كل انواع الحيوان فلا يلجئنا ذلك الى نتيجة اخرى بل يبقى الانسان فوق القرود بما لا يقدر لانهُ يخالفها باتصابهِ وبسهولة حركة يديهِ وبعدم استخدامها للمشي وبكبر ابهامهِ ووضعهِ وكبر دماغهِ وما زال القرد دون الانسان في كل ذلك فلا يزال دونهُ بما لا يقدَّر ولو شابههُ تمامًا في كل ما سوى ذلك

هذه اقوال العلامة وَلِس وهو زميل دارون وقسيمهُ في اكتشاف ناموس الانتخاب الطبيعي وبعدٌ من اهل الطبقة الاولى بين علماء الحيوان بالاجماع